دلالة لفظتي الزوجة و المرأة في القرآن الكريم

م. عبد الجواد عبد الحسن علي[1]

المقدمة

إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود، و كل حرف وُضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تُراعى في هذا الوضع الآية وحدها و لا السورة وحدها، بل روعي فيه النظم عامة و الدلالة بصورة خاصة، وهاتان المزيتان تضعان أمام العرب جانبا من جوانب إعجازه، فلكل حرف فيه حسابه، فلا يمكن أن يُزاد عليه أو يُحذف منه ؛ ويكفينا جانبا إحصائيا واحدا هو أن الحروف المقطعة في مستهلات السور مثل (ألم ـ حم ـ ص ـ ن)، و نحوها، و التي تقرأ بأسمائها لا بأصواتها فقد تبين أن السور التي تبدأ بهذه الأحرف المقطعة تتكرر فيها بمقدار مضاعفاتها التسعة عشر، و التي تساوي أحرف البسملة، (البسملة هي افتتاح السور عموما و هذه الأحرف هي افتتاح السور خصوصا، فهل يجوز أن نوجّه ذلك التنزيل و نحيله على المصادفة، أم هو القصد و التدبير و الإعجاز) [2].

ومن ذلك القصد كان موضوع بحثنا لفظتا (الزوجة و المرأة)، فقد استغلقت دلالتاهما على المفسرين و المعربين ، وعوّلوا على المعجميين في شرحهم و توسعهم، فقد وقفوا على معنييهما القريب و الظاهر فقط، و أغفلوا دلالتيهما السياقية الواردة في الآيات البيّنات، من هنا استدعت ضرورة البحث أن ابدأ بالمعنى اللغوي لكلا اللفظين عند المعجميين، ثم استنت إلى رأي بعض المفسرين و المعربين وتعرفت على مذاهبهم و تخريجاتهم وبعدها استعنت بالنصوص القرآنية التي بينت الاختلاف في دلالتيهما، مستندا إلى الأبحاث الحديثة في الإعجاز القرآني، و التي وصلت إلى نتائج كبيرة، عززت مفاهيم المتقدمين، و خصصت توجهاتهم، في خلال ملامح الإعجاز القرآني .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب

الدلالة اللغوية

أولا: لفظة زوجه

يذهب اغلب المعجميين إلى أن لفظة الزوج و الزوجة: أصل يدل على الاقتران و الملازمة بين شيئين، قال ابن فارس: (أصل يدل على مقارنة شيء لشيء، من ذلك الزوج زوج المرأة و المرأة زوج بعلها)،

---

١ - جامعة أهل البيت عليهم السلام .

٢- ـ ينظر: التعبير القرآني، د . فاضل السامرائي، ص ١٣ .

http://abu.edu.iq

واستشهد بقوله تعالى: " **اسكن أنت و زوجك الجنة وكلا منها رغدا**" [٣] ؛ ويذهب ابن فارس إلى أن المعني بقوله تعالى: " **من كل زوج بهيج** " [٤] المراد به اللون ؛ويوقعون الزَّوْجَيْن على الجنسين المختلفين نحو الأسود والأبيض والحلو والحامض[٥] ، قال ابن سيده: (ويدل على أَنَ الزوجين في كلام العرب اثنان) [٦]، و منه قول اللّه عزّ وجلّ " **وأنه خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثى** "[٧] ؛ فكل واحد منهما كما ترى زوجا ذكراً كان أو أُنثى وقال اللّه تعالى " **فاسلُك فيها من كل زوجين اثنين** " [٨]، و الزوج ما كان مع آخر من جنسه [٩] ؛

ونقل أبو حيان الغرناطي عن الحسن البصري قوله: السماء زَوْج والأَرض زوج والشتاء زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج ويجمع الزوج أَزْواجا و أَزاويج وقد ازدوجت الطير افْتعالٌ منه ؛ وقوله تعالى: " **ثمانية أَزْواج** " [١٠] ؛ أَراد ثمانية أَفراد دل على ذلك ؛ قال ولا تقول للواحد من الطير زَوْجٌ كما تقول للاثنين زوجين بل يقولون للذكر فرد وللأُنثى فَرْدَةٌ، ويقال للرجل والمرأة الزوجان ؛ قال وهذا هو الصواب، ويقال للمرأة: مزواجا إذا كانت كثيرة الأَزْواج الزَّوجة ؛ والأَصل في الزَّوْج الصِّنْفُ والنَّوْعُ من كل شيء وكل شيئين مقترنين شكلين كانا أَو نقيضين فهما زوجان ؛ وكلّ واحد منهما زوج ؛ و زوج المرأة بعلها و زوج الرجل امرأته [١١] ؛ ويذكر ابن سيده أن الرجل زوج المرأة، وهي زوجه و زوجته، وقد نقل عن الكسائي، أنه سمع من أَزْدِ شَنوءَة بغير (هاء) ، وصحيح لديه الكلام بالهاء [١٢] ؛ أَلا ترى أن القرآن جاء بالتذكير: " **اسكن أَنت وزوجك الجنة** "[١٣] ؛ وزعم ابن فارس أن بعض النحويين يرون في ذلك الاختلاف لغة، فالزوج على لغة أَهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً تقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل: هذه زوجي [١٤]، واستشهد بقوله تعالى: " **اسْكُنْ أَنتَ وزَوْجُك الجنةَ**" " **وأَمسِك عليك زَوْجَك** " [١٥] ؛ وبقوله تعالى: " **وإن أَردتم استبدال زوجٍ مكان زوج** " [١٦]

و أما بنو تميم فيقولون بالهاء (هي زوجته) ؛ واستشهد بقول الفرزدق:

وإنّ الذي يسعى يحرش زَوْجَتِي كَسَاعٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها

واستشهد الجوهري بهذا البيت، وذكر في قوله تعالى: " **يا أَيها النبي قل لأزواجك** " [١٧] أن نقول: قد تزوَّج امرأة، و زوّجه امرأ وتزوّجت امرأة وليس من كلامهم تزوّجت بامرأة ولا زوَّجْتُ منه امرأة قال

٣- ـ البقرة: ٣٥ .
٤- ـ ق: ٧ .
٥- ـ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، باب ابزاي و الواو و ما يثلثهما، ج٤، ص ٢٨٧ .
٦- ـ المحكم و المحيط الأعظم، علي بن اسماعيل بن سيده، ج٧، ص ٣٦٤، مادة: زوج .
٧- ـ النجم: ٤٥ .
٨- ـ المؤمنون ٢٧ .
٩- ـ ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الغرناطي، ج٤، ص٢٠٩ .
١٠- ـ الأنعام ١٤٣ .
١١- ـ ينظر: صحاح اللغة و تاج العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، باب الجيم فصل الزاي، ص ٣٢٠ .
١٢- ـ ينظر: المحكم و المحيط الأعظم، علي بن اسماعيل بن سيده، ج٧، ص ٣٦٤، مادة: زوج .
١٣- ـ الأعراف ١٩ .
١٤- ـ ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، باب ابزاي و الواو و ما يثلثهما، ج٤، ٢٨٨ .
١٥- ـ الأحزاب ٣٧ .
١٦- ـ النساء ٢٠ .
١٧- ـ الأحزاب ٢٨ .

http://abu.edu.iq

وقال اللّه تعالى: " **وزوّجناهم بحور عين** "[١٨] أي قرنّاهم بهن، و قوله تعالى: " **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** "[١٩] أي وقُرناءهم ؛ ونقل عن الفراء قوله: تزوجت بامرأة لغة في أزد شنوءة وتزوّج في بني فلان نكَح فيهم[٢٠].

ثانيا: لفظة امرأة

وأما لفظ المرأة، فيرى أن المرأة هي التي تكون مباركة على زوجها[٢١]، ويبدو أنه يريد القول بأن هناك امرأة مباركة و أخرى غير مباركة، و يبدو للباحث بأن كل زوجة هي امرأة وليس كل امرأة هي زوجة بحسب دلالة اللفظة السياقي في القرآن الكريم، ويذهب ابن منظور إلى أن المرء: الإنسان. تقول: هذا مَرْءٌ، وكذلك في النصب والخفض تفتح الميم، هذا هو القياس. ومنهم من يضم الميم في الرفع ويفتحها في النصب ويكسرها في الخفض، يتبعها الهمز على حد ما يتبعون الراء إياها إذا أدخلوا ألف الوصل فقالوا امْرُؤٌ، ولا يجمع على لفظه، ولا يُجمع جمع السلامة، لا يقال أمراءٌ ولا أمْرُؤٌ ولا مرؤون ولا أمارىء. وقد نقل عن الحسن بن علي (عليهما السلام): (أحسِنوا ملأكُم أيها المرءون)؛ وزعم ابن منظور أن ابن الأثير قال: هو جمع المرِء، وهو الرجل. ومنه قول رُؤبة لِطائفةٍ رآهم:

أينَ يُريد المَرءُونَ؟

ولمّا أنّثوا قالوا: مرأةٌ، وخفّفوا التخفيف القياسي فقالوا: مَرَةٌ، بترك الهمز وفتح الراء، وهذا مطّرد، ونقل عن سيبويه قوله: مَراةٌ، وذلك قليل، ونظيره كَماةٌ. و نقل عن أبي علي الفارسي: قوله: وليس بمُطّرد كأنهم توهموا حركة الهمزة على الراء، فبقي مَرأةٌ، ثم خفّف على هذا اللفظ. وألحقوا ألف الوصل في المؤنث أيضاً، فقالوا: امْرَأةٌ، فإذا عرّفوها قالوا: المَرأة و الامْرَأة، و نقل عن الليث: امْرَأةٌ تأْنيث امرِىءٍ، ونقل عن ابن الأنباري قوله: الألف في امْرأةٍ و امرِىءٍ ألف وصل، وذهب ابن منظور إلى أن للعَرب في المَرأة ثلاث لغات، يقال: هي امرأته وهي مَرْأتُه وهي مَرْته، ونقل عن ابن الأعرابي قوله: أنه يقال للمرأة إنها لامْرُؤُ صِدْقٍ كالرجل، قال: وهذا نادر[٢٢].

دلالة الزواج و الاقتران

لم يخرج الرازي عما ذهب إليه ابن فارس في زوَج بمعنى قرَن، و زاوَجه مزاوَجة و زواجا بمعنى خالطه، وزواجا قرن بعضها ببعض، ازدواجا: اقترانا، و تزوج امرأة: اتخذها زوجة، و الزَواج اقتران الذكر بالأنثى، و الزوجية مصدر صناعي[٢٣]، و القَرَن، بالتحريك: الحبل الذي يُشدّان به، والجمع نفسه قَرَنٌ أيضاً. و القِرانُ: المصدر، و هو الحبل ؛ ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه -: الحياء والإيمانُ في قَرَنٍ أي مجموعان في حبل أو قِران. وقوله تعالى: " **وآخرين مُقَرَّنين في الأصفاد** "[٢٤]، إما أن يكونَ أرادَ به ما أراد بقوله مقرونين، وإمّا أن يكون شدد للتكثير؛ ويقال للجمع بين الحج والعمرة، قَرَنَ بين الحج والعمرة قِراناً، بالكسر. وفي الحديث: (**أنه قَرَن بين الحج والعمرة**) أي:

١٨- ـ الطور ٢٠ .
١٩- ـ الصافات ٢٢ .
٢٠- ـ ينظر: : صحاح اللغة و تاج العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، باب الجيم فصل الزاي، ص ٣٢٠ . و ينظر: لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، مادة: زوج .
٢١- ـ ينظر: لسان العرب، مادة: مرء ، ص ٧٢ .
٢٢- ينظر: المصدر نفسه، مادة مرء .
٢٣- ـ ينظر: المعجم الوسيط ، ابو فخر الرازي، مادة: زوج .
٢٤- ـ إبراهيم ٤٩ .

http://abu.edu.iq

جمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد وطواف واحد وسعي واحد، فيقول: لبيك بحجة وعمرة، و قَرَنَ الحجَّ بالعمرة قِراناً: وصلها. وجاء فلان قارناً، وهو القِران. و القَرْنُ: مثلك في السن، و قَرينة الرجل: امرأته لمُقارنته إياها. وزعم الرازي أن ابن عباس روى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله و سلم ـ كان إذا أتى يوم الجمعة قال: **(يا عائشة اليوم يوم تبعُّلٍ و قِرانٍ)** ؛ قيل: عنى بالمقارنة التزويج [٢٥].

ويبدو أن المعجميين لم يضعوا حدودا فاصلة بين دلالة لفظتي (الزوجة و المرأة) ولم ترتق تخريجاتهم إلى دلالة البنيتين المفردتين في سياقاتهما الواردة في القرآن الكريم.

المعنى الاصطلاحي:

ونستبين ذلك من توجيه المفسرين و المعربين فقد ذهب الطبري في تفسير: قوله جلّ ثناؤه: " **ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ** " و قوله تعالى: " **ومِن كلِّ شيء خلقْنا زَوْجين** " بمعنى: مِن الضَّأن اثْنين ذكر وأنثى، ومِن البَقر اثْنين ذكر وأنثى، ومِن الإبِل اثنين ذكر وأنثى، لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان، كما قال جلّ ثناؤه: " **وجعل منها زوْجها لِيسكن إليها** " [٢٦] وكما قال: " **أمْسِكْ عليْكَ زَوْجكَ** " ؛

ويقال للاثنين: هما زوج، ثم ذكر أن الحسن قال في قوله تعالى: " **مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ** "[٢٧] بمعنى: السماء زوج، والأرض زوج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء.

و يذهب الطبري في تفسير قوله تعالى: " **كم أَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كريم** " [٢٨]أي من كلّ زوج حسن المنظر ؛ ونقل الطبري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله و سلم ـ قال **(أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا)**، و ما يعنينا أنه ـ صلى الله عليه و آله و سلم ـ أطلق لفظ الزوج على الرجل، و لم يقل في حديثه الشريف الزوجة بل المرأة، بسبب عدم التوافق بينهما في القِران فأصدر تحذيره لأولئك النسوة اللائي يعصين أزواجهن حصرا.[٢٩]

أما الشوكاني فيرى أن الزوج خلاف الفرد، يقال زوج أو فرد، كما يقال شفع أو وتر، فقوله: " **ثمانية أزواج** " يعني ثمانية أفراد، وإنما سمي الفرد زوجاً في هذه الآية لأن كل واحد من الذكر والأنثى زوج بالنسبة إلى الآخر، ويقع لفظ الزوج على الواحد، فيقال: هما زوج، وهو زوج، ويقول اشترت زوجي حمام: أي ذكرا وأنثى. والحاصل أن الواحد إذا كان منفرداً سواء كان ذكراً أو أنثى، قيل له فرد، وإن كان الذكر مع أنثى من جنسه قيل لهما زوج، ولكل واحد على انفراده منهما زوج، ويقال لهما أيضاً زوجان، ومنه قوله تعالى: " **فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى** " [٣٠]، قوله تعالى: " **ومن الضأن اثنين** " [٣١] بدل من ثمانية [٣٢].

أما أبو حيان الغرناطي فلم يضع حدودا بين اللفظتين من خلال شروحه، فذهب إلى أن

٢٥- ـ ينظر: المعجم الوسيط، ابو فخر الرازي، مادة: زوج .
٢٦- ـ الأعراف ١٨٩ .
٢٧- ـ الذاريات ٤٩ .
٢٨- ـ الشعراء ٧ .
٢٩- ـ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج ١٢ ، ١٨٣ .
٣٠- ـ القيامة ٣٩ .
٣١- ـ الأنعام ١٤٣ .
٣٢- ـ فتح القدير بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج٥، ص ١٠٦

http://abu.edu.iq

للرجل: زوج، ولامرأته أيضاً زوج وزوجة ؛ و يذهب الفراء إلى أن زوجاً المراد به المؤنث فيه لغتان: زوج لغة أهل الحجاز، وزوجة لغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد، وكل شيء قرن بصاحبه فهو زوج له، والزوج: الصنف ومنه: زوج بهيج، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً [٣٣] ؛ و ذهب أبو حيان إلى أن: (إن كان مع فساد الزوجة ونشوزها فساد من الزوج، وتفاقم ما بينهما، فالفدية جائزة للزوج) [٣٤]، و الصحيح أن يقول فساد المرأة، لأنه إطلاق عام على كل النساء آلائي يفسدن العلاقة الزوجية، فضلا عن أن لفظة (الزوجة) بالمفهوم القرآني لا يدنو منها الفساد أبدا، بل على عهدها من الأمانة الزوجية و قدسيتها ؛ و ليس أدل على ما ذهبنا إليه بما ورد في النصوص القرآنية التي تخاطب النبي محمد ـ صلى الله عليه و آله و سلم ـ و أزواجه، فلم يرد في النصوص القرآنية إلا زوج النبي أو أزواج النبي أو زوجاته، أو نسائه، ولم يرد لفظ امرأته

الدلالات السياقية للنص القرآني للفظتي (زوجة و امرأة)

فقد ورد في دلالات النصوص القرآنية فروقٌ واضحة بين لفظتي (الزوجة ـ المرأة) و بشكل تقريبي، وكأن اللفظتين ساقهما القرآن الكريم لمعنيين مختلفين، قد أغفلهما المعربون و المفسرون و حتى المعجمين ؛ فكلا اللفظين يدلان على أن العلاقة و الاقتران بين الرجل و المرأة مفهوم له دلالات مختلفه بفسره السياق الوارد في نصوص القرآن الكريم، بمعنى: أن السياق القرآني أخرج هذين اللفظين من دائرة المعنى المفرد الذي ساقه المعجمون و التزم به المفسرون و المعربون، إلى دائرة أدق و أوضح عما جاء به المعجمون و الشراح بحسب توجهاتهم الفقهية و النحوية ؛ أما اللغويون فلم نستبين منهم ذلك، و يبدو أن مفهوم الاقتران بمعنى في أغلب تخريجاته الارتباط و الملازمة بين الرجل و المرأة بموجب تشريعات و تخريجات فقهية نص عليها الفقه الاسلامي، ، فالقرآن الكريم قد ألمح إلى فاصل واسع في المعنى الدلالي بين اللفظين أخذ به أسلوب النظم في سياق الآيات الكريمة التي تضمنت اللفظين (زوج ـ امرأة)، و سنوضح ذلك تفصيلا في معرض ورود اللفظتين في النص القرآني المقدس.

الأولى: زوجة

يتضح مما سبق ذكره أن لفظة (الزوجة) تعني تطابق الاقتران بين الزوجين (دينا و عقائديا و فكريا و نفسيا و اجتماعيا)، و ليس بمعنى التلازم، لأن التلازم متغير و التطابق ثابت، بمعنى أنهما متفقان في السراء و الضراء و لا يشذ بينهما ما يخدش تلك العروة الوثيقة أبدا، لأن أحدهما يصلح للآخر في وجوه العلاقة الزوجية كلها.

و مما لاحظناه من ورود الألفاظ التي تدل على الزوجة الصحيحة بأن هناك قصدية في تكرار مواضعها في القرآن الكريم، فقد تكررت لفظة (**و زوجك**) مرتين في القرآن الكريم [٣٥]، و يبدو من هذا الرقم الثنائي أن الله ـ سبحانه و تعالى ـ أراد أن يثبت طرفي الزوجة و يحدد ركنيها ؛ فوضعها وصفا لكل شيئين مقترنين متوافقين، لذلك حينما خاطب نبينا آدم ـ عليه السلام ـ قال: " **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا** " [٣٦]، فقد شاءت قدرته ـ جل و علا ـ أن ينت في هذه العلاقة الزوجية من معاني الود و الرحمة و الألفة و التوافق، و كذلك لفظة (**الزوجين**) إذ تكررت مرتين أيضا [٣٧]، لما لها من دلالة

٣٣- ـ معاني القرآن، يحيى بن زكريا الفراء، ج١، ٩٨، ط٣، عالم الكتب بيروت ١٩٨٣ .
٣٤- ـ البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، ج٥، ص ٥٧، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر بيروت، ١٩٩٢ .
٣٥- ـ سورة البقرة: ٣٥، و الأعراف: ١٩ .
٣٦- ـ البقرة: ٣٥ .
٣٧- ـ سورة النجم: ٤٥، و القيامة: ٣٩

http://abu.edu.iq

في تأكيد و تقرير ركني هذه الرابطة المقدسة، قال تعالى: " **فجعل منه الزوجين الذكر و الأنثى** "[٣٨] وكذلك فقد تكررت لفظة **(أزواجنا)** مرتين في القرآن الكريم[٣٩]، ففيها تثنية و توكيد لركني الزوجية المباركة التي أوردها - جل و علا - في مواضع التوافق الكلي و الصلاح بين الزوجين، فاللفظ الأول **(و زوجك)** أضافها لضمير المخاطب (ك)، و الثانية (الزوجين) ألحق بها (ال) العهد ؛ و اللفظ الثالث (أزواجنا) قد أضيف إلى الضمير (نا)، و يبدو من ذلك أن هناك قصدية التعريف - بنوعيه الاضافي و (ال) - بهذا الاقتران و الترابط الزوجي، و مما يؤكد ما ذهبنا اليه، هو الورود العددي (الرقمي) المتكرر قد تطابق الاطلاق اللفظي لهذه الصلة الوثيقة المباركة، و أما لفظة **(زوجين)** فهي مثنى زوج، فقد أوردها القرآن الكريم أربع مرات[٤٠]، لتدل بذلك على: (زوج = اثنين + زوج = اثنين فالمجموع أربعة أشياء اقترنت (زوج + زوج)، قال تعالى: " **ومن كل شيء خلقنا زوجين** "[٤١].

أما عن وصف القرآن المجيد لتلك العلاقة المتطابقة و المتكاملة بين الذكر و الأنثى نحو قوله تعالى: "**أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** "[٤٢]، إذ وصف التطابق و الاقتران بين الشيئين بالكرم ؛ و منه قوله تعالى: " **وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** "[٤٣]، و هنا وصف التطابق و الزوجية بالبهجة و السرور، و منه قوله تعالى: "**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** "[٤٤]، و يبدو أن إرادة الله - سبحانه و تعالى - خلاقة سخرها للمودة و الرحمة بين الزوجين المتوافقين كليا ؛ و منه قوله تعالى: " **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** "[٤٥] فالآية الكريمة تبين مدى استحسان لفظة الزوجة و لفظة (أزواج) فقد أظهرها السياق القرآني بدلالات تنم عن الرضى و الاستحسان، و علقها - سبحانه و تعالى - بثواب الآخرة و يوم الجزاء الأعظم، قال تعالى: " **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**"[٤٦] فوعد - و وعده الحق - المؤمنين بأزواج مطهرة، في الآخرة ثواب الدنيا مما كانوا يفعلون ؛ أما الدعاء فهو سلاح الأنبياء، و بذلك يدعونا - جل و علا - أن نتوسم بأجزل الألفاظ و أفصحها و أكثرها تقبلا لديه و تقربا إليه، من ذلك قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** "[٤٧] و الدعاء لتحقيق هذا الوئام و الألفة ؛ فقد خاطب - جل ثناؤه - نبي الرحمة محمدا - صلى الله عليه و آله و سلم - بقوله: " **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** "[٤٨]، لأن نساء النبي - صلى الله عليه و آله و سلم - قد حرمهن الله - سبحانه و تعالى - على غيره، فضلا عما حققه من وئام و رحمة و مودة بينه و بينهن، لذلك بارك الله له مقامهن و أنزل بعض التنزيل في بيوتهن.

٣٨- القيامة: ٣٩ .
٣٩- الفرقان ٧٤، و الأنعام ١٣٩ .
٤٠- سورة هود: ٤٠، و الرعد: ٣، و المؤمنون: ٢٧، و الذاريات: ٤٩ .
٤١- الذاريات: ٤٩ .
٤٢- الشعراء: ٧ .
٤٣- ق: ٧ .
٤٤- الروم: ٢١ .
٤٥- الزمر: ٦ .
٤٦- البقرة: ٢٥ .
٤٧- الفرقان: ٧٤ .
٤٨- الأحزاب: ٦ .

http://abu.edu.iq

ثانيا: امرأة

و قد ظهر أن هذا اللفظ يرد في حالة انعدام التوافق و الانسجام بين الزوجين بشكله التطابقي التام، و لم تكن الزوجية متحقّقة بينهما مما تقتضيه إرادة الله ـ سبحانه و تعالى ـ، فان القرآن يوجه خطابه و يشير إلى الأنثى بلفظة (امرأة) و لا يشير إليها بالزوجة؛ و انما يشير إليها على وجه الخصوص في نصوصه الكريمة بوصفها الطرف الأساس في ارتقاء تلك العلاقة الزوجية و سموها، و عليها يعول تحققها بشكل يرضي الله ـ جلّ و علا ـ، و كذلك يتضمن ذلك الخطاب و يلمح الى ما يعكر صفو الحياة الزوجية بينهما لمانع من الموانع أو لاختلاف ديني ـ عقائدي ـ سلوكي بينهما؛ ومن الأمثلة على ذلك؛ أورد القرآن الكريم: امرأة نوح، وامرأة لوط، ولم يقل: زوج نوح أو زوج لوط، قال تعالى: "**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا**" [٤٩]، فقد وصفهما القرآن الكريم بإنهما كافرتان، مع أن كل واحدة منهما امرأة نبي من أنبياء الله، فكفرها كان الفاصل و المانع من تحقّق الانسجام والتوافق بينها وبين بعليهما، فهو اقتران كامل بمعناه الاجتماعي لكنه ناقص بمضمونه العقائدي فالزوج مؤمن و الزوجة كافرة، ومنه امرأة فرعون في قوله تعالى: "**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**"[٥٠]، فقد ضربت امرأة فرعون خلاف ما كان من أمر امرأتي نوح و لوط ـ عليهما السلام ـ فقد أشار القرآن الكريم إلى إيمانها و كفر زوجها، و عليه لم يتحقّق الانسجام التطابقي بينهما، فهي امرأته وليست زوجه، كما أشار القرآن الكريم لذلك.

ومن أهم الحقائق و القرائن السياقية لإثبات ما ذهبنا إليه، في التعبير القرآني المسبوك، و النظم المحبوك، ذلك التجسيم الناطق بدلالة التفريق بين لفظتي (زوجة وامرأة) ما جرى في إخبار القرآن الكريم عن دعاء زكريا، و بيان تلك المناجاة بين العبد و ربه، في أن يرزقه ولداً يرثه. فقد كانت امرأته عاقرا لا تنجب، وطمع في آية من آيات الله ـ جلّ و علا ـ، قال تعالى بلسان عبده زكريا: " **وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا** "[٥١] فكان اقترانهما الزوجي لم يكتمل بعد بسبب الإنجاب سمّاها القرآن الكريم (امرأة) لأنها عاقرٌ، على الرغم من تحقق الوئام و المحبة بينهما؛ ولما خاطبه الله ـ جل و علا ـ بقبول دعائه، وسيرزقه ولدا له، أعاد زكريا ـ عليه السلام ـ نجواه بعقم امرأته، فكيف تلد وهي عاقر، قال تعالى بلسان زكريا: " **قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** "[٥٢]

فكرر لفظة (امرأة) و وصفها بالعقم فالزوجية بينهما لم تتحقّق في أتمّ صورها وحالاتها، و على الرغم من كونه نبيا، و زوجه كانت مؤمنة، وكانا على وفاق تامّ، ، ولكن عدم التوافق والانسجام التامّ بينهما، كان في عقم زوجه، فلم يتحقق الهدف النسلي من الزواج بسبب ذلك المانع البيولوجي عند الزوجة، فإن الزوجية لم تتحقّق بصورة متكاملة، لذلك أطلق عليها القرآن لفظة (امرأة) ؛ أما بعد زوال المانع، وأصلح الله شأنها، فولدت لزكريا ابنه يحيى، و قد بارك الله ـ سبحانه و تعالى ـ ذلك الوئام بينهما فاستجاب الله له، وجعل امرأته قادرة على الحمل و الإنجاب، فإن القرآن لم يطلق عليها لفظة (امرأة (، وإنما أطلق عليها لفظة (زوج (، لأن الزوجية قد تحقّقت بينهما على أتمّ صورة.

قال تعالى: " وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) [٥٣]، فكانت امرأة زكريا ـ عليه السلام ـ قبل إنجابها يحيى ـ عليه السلام ـ في النص

٤٩- ـ التحريم: ١٠ .
٥٠- ـ التحريم: ١١ .
٥١- ـ مريم: ٥ .
٥٢- ـ آل عمران: ٤٠ .
٥٣- ـ الأنبياء: ٨٩ .

http://abu.edu.iq

القرآني الكريم، لكنها بعد أصلاح شأنها و ولادتها يحيى أصبحت (زوج) وليست مجرّد امرأته بسبب زوال المانع، لذلك اقتضى السياق أن تتقدم الهبة الإلهية في التركيب اللغوي، كي يتحقق القران الزوجي بعدها بأكمل صوره التطابقية التي أرادها الله ـ سبحانه و تعالى ـ بين الزوجين

النتائج:

١ ـ نستدل من ورود لفظتي (الزوجة و المرأة) في السياق القرآني على أنهما وضعتا بقصد الإشارة إلى اختلاف الدلالتين.

٢ ـ دلت لفظة (الزوجة) في سياقات الآيات الكريمة جميعها الواردة فيها على التوافق و الوئام التامين بين الزوجين.

٣ ـ دلت لفظة (المرأة) في سياقات الآيات الكريمة جميعها الواردة فيها على وجود شرخ و اختلاف بين الزوجين، سواء كان ذلك في المعتقد أم في الإنجاب أم في الولاء لبعضهما.

٤ ـ ورود بنى لفظة (زوج) يسفر عن تثبيت ركني بيت الزوجية و يحدد طرفيها.

المصادر و المراجع

١ـ القرآن الكريم

٢ ـ البحر المحيط، أبو حيان الغرناطي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.

٢ـ التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٨

٣ ـ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط ٣، دار الفكر بيروت، ١٩٨٥.

٤ ـ جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٦.

٥ ـ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، موقع التفاسير، شبكة غوغل.

٦ ـ الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، حماد بن اسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩.

٧ ـ لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

٨ ـ معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب بيروت ١٩٨٣.

٩ ـ المحكم و المحيط الأعظم في اللغة، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت.

١٠ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، القاهرة ١٩٧٢.

١١ ـ مقاييس اللغة، احمد بن فارس، تحقيق: د. عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.

http://abu.edu.iq